مقدمة

في لغة الإعـــــلام

أ.د. إبراهيم السامرائي

تدخل لغة الصحافة في باب "الإعلام"، والإعلام مصطلح جديد أريد به أن يقابل كلمة أعجميّة شاعت في باب هذا المصطلح الجديد في الإنكليزية والفرنسية. إنّ عامّة الموادّ الجديدة ولا سيما المصطلح الفنّي في العربية محكوم بما هو سائر في هاتين اللغتين الأعجميتين. وكأنّنا لا نفكر في شيء خاصّ بنا نبتدعه ابتداعاً، ذلك أنّ العربية مغزوّة بل محاصرة بآلاف من المصطلح الجديد في العلوم والفنون كافّة، فقد ورد في معلومات من الأمم المتحدة أنّ في كل سنة يجدّ أكثر من خمسة آلاف مصطلح علمي حضاريّ، فأين نحن من هذا السيل الآتي:

وهكذا صرنا إلى مصطلح "الإعلام" منقولاً من المصدرية إلى شيء آخر يندرج فيه حشد من الكلم الجديد [1] على أننا قد نجد بين العرب من يُؤْثِر مصطلح "الاتصال" [2]، وإن كان هذا في حقيقته "التواصل". ومهما يكن من هذا الاختلاف فقد ثبت "الإعلام" فكانت مؤسسات الإعلام، ووزارات الإعلام وغير هذا مما يتصل بهذه الممارسات الجديدة.

وإنّي لأبدأ القول فأؤكّد أنّ الكلام في لغة الصحف لا يَدخل في باب الخطأ والصواب، والتصحيح اللغويّ الذي صار مادّة لأهل العلم ومدّعيه، فقد كثرت الكتب والرسائل في هذا الشأن. على أنّ الكثير من ذلك خروج عن العلم، وامتهان للعربية وكيد لسماحتها، وهي أوسع مما تخبّطوا فيه.

على أني لا أنكر أن يكون في هذه اللغة جنوح عن العربية، وأن الذي عرض في ذلك هو عينه الذي يعرض في كتابة سائر المترسلين. ولكنّي أقول: إنّ هذه اللغة قد تبتعد في هويتها عن الأصول العربية، وأنها ضرب من الممارسة اللغوية المعاصرة. وهي لشمولها وسعة انتشارها غزت ميادين أبعد ما تكون عن الصحف، ألا نرى أنّ لغة أهل الاجتماع عامة هي شيء من هذا الجديد الوافد. وقد نتحول إلى اللغة الأدبية الحديثة فنجدها تتلقّف كثيراً من موادها من حيّز هذه الصحف.

لقد استقبل اللغويون في أوائل القرن الماضي، وأوائل هذا القرن "لغة الجرائد" استقبالاً غير حسن فراحوا يعرضون لما كان فيها من الخطأ، وما خرج فيه أصحابها عن قواعد العربية نحواً وصرفاً وأبنيةً ونظام جمل. وقد ألفوا في هذا مصنّفات.

قلت: بدأت الصحافة العربية في أوائل القرن التاسع عشر متسمة بصفات النثر في تلك الحقبة، فقد كانت مثقلة بالسجع وألوان البديع من جناس ومقابلة، فهي متكلفة عسيرة لا تصل إلى الغرض المراد إلاّ بعد عسر.

لقد ورد في افتتاحية العدد الأول من جريدة "الوقائع المصرية" التي أنشأها محمد علي باشا في القاهرة سنة 1828 [3]:

"الحمد لله باري الأمم، والسلام على سيد العرب والعجم، أمّا بعد، فإن تحرير الأمور الرافعة مع اجتماع بني آدم، المتدبّجين في جمعية هذا العالم، ومن ائتلافهم وحركاتهم، وسكونهم ومعاملاتهم، ومعاشراتهم التي حصلت من احتياج بعضهم بعضاً، هي نتيجة الانتباه والتبصر بالتدبير والإتقان، وإظهار الغيرة العمومية، وسبب فعّال منه يطلعون على كيفية الحال والزمان [4].

وقد كانت هذه اللغة الركيكة قد حفزت المعنيين بالعربيّة وأساليبها إلى أن يكتبوا في دفع هذه الهجنة على رأيهم. ومن هذا ما كتبه أحدهم في مجلة "المقتطف" في عدد من أعدادها سنة 1886 عن هذه اللغة، فأشار إلى التراكيب المترجمة فيها عن التركيّة العثمانية، وغيرها من اللغات الأعجمية. وقد أورد هذا الكاتب نماذج عدة مما جدّ في هذه اللغة الصحفية [5].

على أنّ التنبيه على اللغة وركاكتها وبعدها عن سماحة العربية لم يجد كثيراً، فلقد ورد —مثلاً— في افتتاحية العدد الأول من صحيفة "لسان الحال" الصادرة في بيروت سنة 1877، أي بعد صدور "الوقائع المصرية" بخمسين سنة تقريباً، شيء لا يبتعد كثيراً عمّا كانت عليه اللغة الصحفيّة في "الوقائع المصرية".

قال محرر "لسان الحال":

"... الحمد لله الذي يسبّح بحمده في الغدوّ والآصال، وينطق مفصحاً بتعداد آلائه لسان الحال، حمداً يدوم آناء الليل وأطراف النهار، ما غرّد قمريّ، وترنّم هزار [6]".

وقد نقف في صحافة هذه الحقبة على نمط من الإغراق في استعمال الألقاب في مدح من يتحدّث عنهم. ومن هذا ما ورد في جريدة "وادي النيل" [7] عند صدور مجلتين في بيروت، إحداهما "الزهرة" ليوسف شلفون اللبناني المتوفى عام 1890،والثانية "الجنان" للمعلم بطرس البستاني، عام 1883، المتوفى سنة 1883. وهاتان المجلتان تكادان تتشابهان في كثير من الصفات.

جاء في مقال "الوقائع":

"وكلتاهما من الطرافة والكياسة، وعظم الفائدة والنفاسة، في درجة عالية وهيئة حالية، وكأنهما فتاتان من الجزر الأوروبية وقد بدتا في كنائس نصرانية متحمّلتين بمآزر شرقيّة عربيّة، أو برانس مغربيّة... إحداهما تنشر باسم "الزهرة" بتأليف الأديب الأريب، والكاتب اللبيب، والآخذ في الكتابة بمجامع الفنون المدعو بيوسف الشلفون.. والثانية تظهر باسم "الجنان" بقلم وإدارة المؤلف اللطيف، والمصنف المتقي الظريف، أصمعي هذا العصر الثاني المشهور باسم بطرس البستاني، مع شبله الشاب الفهيم المعروف كذلك باسم سليم " [8].

على أنّ هذا قد ذهب في صحف هذا القرن، فلم نجد شيئاً منه فيما كان ينشر يعقوب صروف منشئ المقتطف. لقد كنا نقرأ فيما يكتبه صروف سنة 1927 شيئاً يبتعد عن هذا التكلف الذي لا يخدم الفن الصحفي.

وقد أشار إلى هذا التحول أنيس المقدسي في المصدر الذي أشرنا إليه.

على أننا لم نتخلص في هذا الحقبة مما ألمعنا إليه من ثقل هذه اللغة الصحفية. وأنت إذا نظرت إلى ما كان يكتبه السيد محمد توفيق البكري، المتوفى سنة 1932 ، وجدت أن التكلف في استعمال السجع والمحسنات البديعية واضح كل الوضوح. وقد أشار إلى هذا أنيس المقدسي في المصدر الذي تقدم ذكره.

قلت: لقد تصدّى المعنيون بالحفاظ على العربية إلى

لغة الصحف، وتنكّروا لها. ومن هؤلاء الشيخ إبراهيم اليازجي الذي كتب مقالات عدّة نشرها في مجلة "الضياء" بعنوان "لغة الجرائد"، ثم أعيد نشرها في كتابه الموسوم بالعنوان نفسه [9].

على أنّ ما نبّه عليه اليازجي في "مقالاته" هذه بعيد عن اللغة الصحفية التي نشاهدها اليوم، وها أنذا قد اقتطفت نماذج منها مما ورد في بحث عن "الإعلام واللغة الإعلامية" للأستاذ منير البعلبكي ألقاه في "مجمع اللغة العربية" في القاهرة سنة 1987.

أقول: إذا كانت لغة الصحف في بلدان المشرق العربي متأثرة بأساليب ما هو شائع في الإنكليزية في أمريكا وإنكلترة [10]، فإن لغة الصحافة في الشمال الإفريقيّ متأثّرة بما هو معروف ومتداول في الصحف الفرنسية.

وقد كان لي جولة في صحف المغرب وموريتانيا والجزائر وتونس وقفت فيها على طرائق من التعبير حكت ما هو معروف في الفرنسية. على أن هذا المحكي قد ألقت الضيم عليه عربية ضعيفة قد تحسب أن قائليها لم يجروا من العربية على عرق.

وسأستقري طائفة من هذه التعابير غير مُلزم نفسي أن أحصها بهذا القطر أوذاك، ذلك أن مسألة النسبة المحدّدة لا تعني شيئاً يتسم بخصوصية بلد بعينه.

قرأت:

اجتمع بالدار البيضاء مبعوث الرئيس الليبـــي معمّر القذافي، قائد ثورة الفاتح من شتنبر، مع زعماء من بلدان المغرب العربي.

أقول: "إن شتنبر" من أسماء الشهور الغربية وغيره هو سبتمبر، وهو شيء مما أخذه أهل هذه البلدان، و لم يستعملوا ما عرف العرب من أسماء الشهور التي عرفتها الأمم القديمة في بلدان المشرق، والتي استعملها الغرب في ممارساتهم الاجتماعية والأدبية. لقد عرف العرب "أيلول" وهو اسم بابلي واستعملوه.

ومن عجب أن أهل اليمن عرفوا هذه الأسماء ، ولكنهم تأثروا بما هو شائع وجار في مصر فصرنا نسمع ونقرأ "سبتمبر" والثورة السبتمبرية.

ومثل هذا يقال في "يناير" في مصر، وهو "جانفي" في بلدان الشمال الإفريقي، و"فبراير" في مصر وهو "فيفري" في تونس والجزائر والمغرب. وهكذا "مارس"، و"أفريل"،و"مايو"، و"ماي"، و"يونيه"، و"جوان"، و"يوليو"، و"جويليه"، و"أغسطس"، و"غشت" ثم "سبتمبر" و"شتنبر" و"أكتوبر" و"نوفمبر" و"ديسمبر" و"دجمبر".

وأنت ترى كل ذلك في بلاد الشام والعراق وبلدان الخليج والجزيرة: كانون الثاني، وشباط، وآذار، وأيار إلى آخره. قال أبو العلاء:

تشتاق أيّار نفوس الورى

وإنما الشوق إلى ورده

وغير هذا كثير.

و"الفاتح" في استعمال أهل طرابلس الغرب اسماً لثورتهم يراد به "الأول" والاستعمال صحيح فصيح، غير أنهم التزموا به دون غيره، وكأن ما يرادف "الفاتح" لا يفي بالمراد.

وقصة "اجتمع مبعوث الرئيس معمّر القذّافي.. مع " من الأساليب الجديدة التي لا نعرفها في فصيح العربية، ولكنها من لغة الصحف، ذلك أن "اجتمع" في العربية

متطلب للواو بمعنى "مع" فلا نعرف: اجتمع مع، ولا اتفق فلان مع صاحبه، ولا اشترك مع وغير هذا.

وقرأت: بعث أزيد من 46 طالباً أستاذاً درسوا بالمدارس العليا للأساتذة رسالة يلتمسون إثارة مشكل وضيعتهم الإدارية والمادية..

أقول: من غير شك أن قولهم: "طالباً أستاذاً" هو ترجمة لعبارة فرنسية، والترجمة حرفية كما يقال الآن ولكني أريد أن أقف على "أزيد" هذه الصيغة التي لا نجدها إلا في نادر الاستعمال، وكأن العرب قد تحاشوا الياء المفتوحة والواو المفتوحة وهربوا إلى إعلالهما ألفاً. غير أن أهل هذه الديار "المغاربية" على اصطلاحهم الجديد يبتعدون عن "أكثر" لإلفتهم لـــ "أزيد" مأخوذة من الألسن الدارجة.

وقولهم: "مشكل وضعيتهم".

أقول: " والمشكل" يقابل "المشكلة" في استعمال أهل المشرق، وأنت لا تستغرب عدم استعمال هؤلاء للمشكلة ، إذا علمت أن "المشكل" أرادوا به مقابلة الكلمة الفرنسية " Problème"، ولما كانت هذه مذكرة في الفرنسية جعلوا ما يقابلها "مشكلاً" مذكراً.

قد تقول: إن "مشكل" كان في استعمال القدماء، فقد جاء "المشكل" لموضع الإشكال كما في استعمال ابن قتيبة "تأويل مشكل القرآن".

غير أني أقول إن "المشكل" في استعمال أهل ديار المغرب منظور فيه إلى الكلمة الفرنسية، وليس إلى ما ورد من تراثنا.

ومثل هذا يقال في استعمالهم في هذه الجملة لـــ "وضعية" فهي تقابل "situation"وهذه مؤنثة في الفرنسية، ولذلك عدل إخواننا في هذه الديار عن المذكّر "وضع".

ولا بد لي أن أستدرك فأقول: إن جملة ما يؤثر في الاستعمال في هذه البلدان هو صحيح تحتمله العربية بوجه من الوجوه، ولكنه ذو خصوصية اكتسبها من أنه منقول عن أصل أعجميّ.

وقرأت أيضاً:

إدارة مفاحم المغرب.

أقول: لا أدري إن كان مفرد "مفاحم" مفحماً أو مفحمة. ولكن الذي استوقفني هو هذا الجمع، وكأنّه جمع ما يستخرج منه الفحم. والناس تضبط لغتهم الحاجة التي تحكمهم. ومثل هذا قولهم أيضاً:

المؤسسة العامة للأبناك.

و"الأبناك" جمع "بنك" وهذه مما عُرِّب في اللغة العربية، وكأنّ العرب اتفقوا على تعريبها واستعمالها. وقد جُمعت في بلدان المشرق على "بنوك" كما يقال في شهر شهور. أما أهل المغرب فذهبوا فيها إلى"أبناك" وهم يجرون في هذا على قياس مماثل فجمع "نهر" أنهار.

أقول: ومسألة الجمع هي مسألة استعمال، فإذا شاع بناء في كلمة فيصبح ما جاز فيها من القياس مهجوراً.

وتقرأ في المغرب أن الشارع أو الطريق يُرسم إليه بـــ "محجّ".

أقول: واستعمالهم صحيح، وهو من العربية وليس من لغة فرنسية، ولكنّه خاص بهم.

ويؤيد ما يذهبون إليه ما ورد في الحديث الشريف:

"تركتكم على المحجّة البيضاء ليلها كنهارها.."[11]

وقرأت:

مديرية تكوين "الأطر".

و"الأطر" في هذا ترجمة لـــ "Cadres" الفرنسية، أو يندرج في "الأُطْر" العمال المختصون وشبه المختصين، وكذلك الموظفون. وكانت هذه الكلمة "إطارات" في الصحف التونسية قبل ربع قَرنٍ، فكان يقال: الإطارات الحزبية.

وقد وجَدَتْ هذه الكلمة طريقها إلى العربية في المشرق، ومنهم مَنْ عَرَّب الأصل الفرنسي وجمعه.

وقرأت من هذا :

وفاة 1272 شخص بسبب إصابتهم بالسيدا.

أقول: و"السيدا" هو مرض الأيدز الذي نجده في صحف أهل المشرق. و"الأيدز" هو مرض نقص المقاومة، وقد صيغ من جمع أوائل حروف الكلمة في اللغة الإنكليزية، فالهمزة من كلمة، والدال من كلمة، والزاي من كلمة، وهذا الاختزال وتكوين الكلم معروف في اللغات الغربية.

وقد اختلف الأمريكيون والإنكليز عن الفرنسيين، فأولئك يستعملون "أيدز" وهولاء يقولون: سيدا، والسبب أن نظام تأليف المركبات من الصفة والموصوف يختلف في الإنكليزية عن الفرنسية.

ومثل هذا يقول الفرنسيون: حلف "الأوتان"، ويقول الأمريكيون والإنكليز حلف "الناتو" وهو حلف شمال الأطلسي.

لكن الفرنسيين اضطروا إلى استعمال "يونسكو" على الطريقة الأمريكية الإنكليزية، لشيوع يونسكو أو أونسكو، وهي منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة.

وقرأت: نُزعت الأراضي من مالكيها لاستغلالها من طرف مصالح المياه.

أقول: قولهم"من طرف"من الفرنسية "de la part". ولو أنهم اكتفوا بـــ "من" الجارة لبقوا في حيز العربية، ولا أطلب إليهم التفاصح ليقولوا: من لدن مصالح المياه.

وقرأت: توصّلنا برسالة من سكان القرية يثيرون فيها أنهم مُنعوا من زيارة مسجد المجاهدين.

أقول: واستعمال "توصَّل" مُعَدًّى بالباء يريدون به أنّهم تسلّموا رسالة.

وهم في هذا يجرون في نظرهم إلى قول الفرنسيين "communiquer de ".

أقول أيضاً: وأهل الشرق يذهبون في خطأ باستعمالهم: "استلم" فيقولون استلمنا رسالة.

و"الاستلام" للحجر، وهو السِلام بكسر السين، قال الفرزدق:

" ركن الحطيم إذا ما جاء يستلمُ"

وقرأت : إقامة البراريك، في الحدائق مما يشوهها.

أقول: "والبراريك" من الكلم الأعجمي، وأهل الصحف أهل جرأة عجيبة في تعريبهم. ونظير هذا قولهم: إحصاء سكان الكريانات.

ولا أدري ما الكريانات!!،وهي من الكلم الأعجمي.

ولا أبتئس كثيراً في هذا فمثله استعمال "الفلل" في الصحف المصرية جمع " Villa" والكلمة إيطالية الأصل.

وقرأت: ورشة لتعليم اللغة العربية !!

أقول: تعالى الله ما أجرأنا على العربية التي وصلنا بها لإقامة "ورشة" لتعليمها، هذا من المضحك المبكي.

ثم ماذا ألم نقرأ في صحفنا في المشرق العربي: لقد

سددنا فاتورات تقاعسنا!! وقرأت:

إن الدار البيضاء أحسن المدن الثالثعالميَّة !!

ولننظر إلى هذا النحت الجريء والتركيب الجريء !

ومثل هذا ما ننشر أن المنظّمة الأفرو آسيوية.

على طريقة ما يقول الأعاجم: أنكلو أمريكان.

وقرأت: أن الحكومة تميل إلى الخوصصة.

أقول: وبعد نظري في هذه العبارة في صحيفة تونسية أدركت أنّ "الخوصصة" تعني نقل الملكية العامة إلى الملكية الخاصة، أو ما يُدْعَى جعل ما هو قطاع عام قطاعاً خاصّاً. وقد سبق أن قال التونسيون بـــ "التونسة" أي جعل الشيء الغريب تونسياً. وهذا كله من الكلم المعدول عن جهته [12].

وردت "الصحف" في لغة التنـــزيل وأريد بها شيء مكتوب على رقوق أو عسب أو لحاف: كما كان الأمر في "الصحف" التي احتفظ بها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة،وهي التي اتخذ عثمان-رضي الله عنه - أصول المصاحف في "جمعه" المعروف المشهور الذي اضطلع به جلّة من الصحابة من كتاب الوحي وغيرهم فانتهوا إلى ما انتهوا إليه في استقرائهم واختيارهم واستحسانهم وجمعهم. و"للصحف" في لغة التنـــزيـــل العزيز حضور واف، فقد جاء في قوله تعالى ﴿ وَإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ [13].

كما ورد في قوله تعالى﴿صُحُفِ إبراهيمَ وَمُوسَى ﴾[14].

و"الصحيفة" و"الصحف" شيء عرفه العرب قبل الإسلام، وصحيفة "المتلمس" الشاعر الجاهلي وخبره مع الشاعر طرفة بن العبد والقصة مشهورة معروفة في أدبنا القديم "الجاهلي".

وجاء الإسلام وأقبل المسلمون على لغة التنـــزيل يدرسونها ويقفون على معانيها وما أخذوا به من أسرارها فكان علمٌ، وكان منهج في الدرس والتلقّي، وكان من ذلك أن هُرع أهل العناية إلى الأعراب يستفتونهم ويأخذون عنهم، حتى إذا عادوا بذخائر لغوية وأدبية تتصل بالعربية والعرب وأيامهم وأخبارهم تصدروا لهذا الدرس الذي شقي به طلاب العلم، فكان مما يُحمد عليه طلاب العلم أن يكون علمهم مأخوذاً عن شيخ من أولئك المشايخ النحارير يسمعون عنهم فيروون ما سمعوا، فكان درس وكانت "أمالٍ" يمليها "الجهابذة" الأعلام، وكانت رواية وقراءة.

وكان أن درجت أفواج من طلاب العلم على هذا السَّنَن، فأخذوا واستوعبوا ثم صنّفوا الكتب ثم غَبَرَ دهرٌ فخلف بعد أولئك "طلاّب جُدد لم يكن لهم أن يسمعوا كثيراً على الشيوخ. ولم يُتح لهم أن يقصدوا بوادي الأعراب. يأخذون عن أهلها، ولكنهم تعجّلوا المسيرة، ووجدوا أنّ طريق الأوائل مضن عسير، فلم يكن منهم إلاّ أن "عمدوا" إلى "صحف" المتقدمين ورسائلهم ومصنَّفاتهم، يقرؤونها فيفيدون منها.وكان لا بد أن يعرض لهؤلاء في درسهم وقراءتهم الخطأ بسبب من التشابه في رسم الحروف، وبسبب ما يكون من "الإعجام" و"الإهمال"، وبسبب ما يعرض من الخطأ الذي مردّه الأبنية الصرفية والموقع النحوي الإعرابي للكلمة في موضعها. ومن هنا كان هذا الخطأ الذي يتصل بالرسم و"الإعجام و"الإهمال" . قد أخذ اسمه من مادة "صحف" فكانوا يأخذون العلم من "الصحف" و"الكتب" ولم يسمعوه من شيخ رواية ودراية. وصار هذا الذي لم ينل

العلم عن طريقه الذي درج عليه المتقدمون من أهل العلم "مصحِّفاً" أي مرتكباً للتصحيف وهو الخطأ. وقديماً قالوا: لا يؤخذ العلم من "صُحَفي" وهو الذي عوّل على "الصحف" في تلقّيه للعلم، وقد ذمّوا "المصحَّف" بتشديد الحاء ونبزوه، ومن هنا نفهم قول أبي نواس في رثائه لخلف الأحمر:

أودَى جماع مُذ أودَى خَلَفْ
من لا يُعدّ العلم إلاّ ما عَرَفْ
فَلْيذمُمْ من العيالِم الخُسْف
كنّا متى نشاء منه نغترفْ
رواية لا تُجتنى من "الصُّحُف" (15)

أقول: هذه نبذة تاريخية موجزة تتصل بـــ "الصحف" وما كان من أمرها لدى الدارسين الأوائل.

ثم جاء عصرنا فكانت "صحف" جديدة، وهي غير "الكتب" القديمة، ولكنّها مظانٌّ جديدة فيها "الخبر" و"الرأي"، وما يعرض في البلد من شؤون اجتماعية واقتصادية وسياسية و"علمية"، وهي ليست خاصة بالبلد الذي تحرّر فيه، وإنما تنفتح على بلاد فسيحة الأرجاء من أقاليم الدنيا. إنك تجد فيها ما يتصل ببلدك كما تجد فيها ما يتصل ببلدان العالم المعمور.

وقد كان لنا "صحف"، نحن العرب، منذ أوائل هذا القرن، ولما كنا في أعقاب القرن المنصرم وأوائل هذا القرن من الأمم المغلوبة على أمرها، المتأخرة في مسيرتها عن غيرها من الأمم المتقدّمة، ولما كنا -أيضاً - قد انقطعنا عن تاريخنا الثقافي وحضارتنا العريقة أقول: "لما كنا بتلك الأحوال من التأخر والتخلف" صرنا نتطلع إلى العالم المتقدّم، وكان من جرّاء ذلك أن كانت صحفنا في تلك الأحقاب معتمدة على ما ترفدها به صحف العالم المتقدّم، ولا سيما ما كان من حضارة الغرب.

أقول: وكما أفادت لغتنا العربية في أعقاب القرن الماضي وأوائل هذا القرن مما حفلت به اللغات الغربية استعانةً بذلك الوافد الدخيل، على التقرب من متطلبات العصر، كان ذلك الدخيل في الوقت نفسه مما حمل الضيم على العربية.

وقد كنت وقفت على لغة الصحف وقفة طويلة ، وكتبت في أساليب الصحفيين التي جنحت بالعربية المعاصرة إلى لغة خاصة ذات سمات خاصة هي "لغة الصحف". ولا يعنيني هنا أن أشير إلى أنها لم تتصف بسلامة المبنى والمعنى، وأنها تجاوزت في طرائقها المشهورة من قواعد العربية نحواً وصرفاً.

لم أرد إلى شيء من هذا على أنه موجود فيها، ولكني أقول: "إنها نمط خاص في التطور التاريخي" لهذه اللغة.

وقد حفزني الأمر إلى أن أعود إلى هذه اللغة عودة أخرى وذلك لأني، وقد وجدت نفسي في بلاد المغرب الأقصى، وفي حاضرته الرباط، وأنا أقرأ الصحف المغربية، مضطراً إلى أن أقف على هذه اللغة التي استغربت من أمرها مسائل، وها أنذا أعرض لهذه "الغرائب" "النوادر" (16).

1-قرأت في صحيفة "الاتحاد الاشتراكي"[1] المؤرخة في اليوم الثالث من تموز (جويليه) ما يأتي:

عقِب انسحابه المفاجئ من مؤتمر القمة الإفريقي التاسع عشر الذي انعقد في أديس أبابا عاصمة أثيوبيا، وعودته من جولة في بعض بلدان المشرق العربي، صرح الرئيس معمر القذافي بأن ليبيا قامت بواجبها تجاه

الصحراء العربية وأنه لم يعد هنا أي مشكل أو خلاف بين المغرب وليبا، وإنما المشكل هو المشكل القومي العربي أي مواجهة الخطر الصهيوني.

أقول: في هذا الذي ذكرته من كلام "المحرِّر" في الصحيفة المشار إليها شيء، يجانب المشهور من القاعدة النحوية، وهو "عود الضمير على متأخر عنه" ليس إلى توجيهه أو تأويله من سبيل، وتلك قاعدة أدركناها ونحن صبية شُداة. وأنت ترى أن الضمير في "انسحابه" وهي الكلمة الثانية، ثم الضمير الآخر في "عودته" يعود على "الرئيس" في قوله: "صرح الرئيس معمر القذافي". وهذه عربية ملحونة ، وذلك لأن بناء الجملة على هذه الصفة الأعجمية شيء لا نعرفه في عربيتنا الفصيحة، وربما صعب عليك أن تجده في الألسن الدارجة. إن تجاوز هذه القاعدة النحوية يقدح في جمال العبارة وحسن أدائها، ومن هنا كان أغلب ما اشتمل عليه علم النحو من فوائد شيئاً يتصل الوفاء به بالبيان العربي في صفائه وسماحته وفطرته.

ولا أريد أن أترك عبارة هذه الصحيفة مكتفياً بمسألة "عود الضمير على المتأخر"، بل أتجاوز ذلك إلى شيء آخر ظهر في هذه العربية المعاصرة ومنها عربية "الصحف" وذلك كقول "المحرر" نفسه في هذا الذي أثبتناه من كلامه.

".... وأنه لم يعد هناك أي مشكل " ! ؟

أقول: إن قول المعربين في عصرنا: "إنه لم يعد" هو شيء من الدخيل الوافد من اللغات الغربية وأظن أن الأصل الفرنسي هو الذي جاء بهذا الأسلوب المولّد الدخيل، فهو من غير شك من قول الفرنسيين: " il n'est plus" .

وقد يستغرب القارئ هذا ويحمله مني على الادعاء أو الخيال الكاذب، فأقول: لم نعرف نفي الفعل "يعود" بـــ " لم" لإرادة هذا المعنى في أساليبنا العربية الفصيحة، وذلك لأن المعنى: "أن الشيء غير مُشكل، أو لم يَبْقَ في الأمر مشكل"، فلم يُؤْلَف في العربية استعمال الفعل "يعود" لإرادة هذا الضرب من نفي الشيء.

ثم أقول: واستعمال "المشكل" شيء جميل في عربية إخواننا أهل الشمال الإفريقي، والكلمة في بنائها على اسم الفاعل من العربية الفصيحة القديمة، وذلك لأن "المشكل" ما أشكل أمره ومعناه وما يتصل به، ولذلك عرفنا من أسماء الكتب "تأويل مشكل القرآن" و"تأويل مشكل الحديث" من مصنّفات ابن قتيبة، وغيرها من أسماء الكتب.

غير أن المشارقة من العرب بنوا كلمة جديدة مؤنثة هي "المشكلة" وكأنهم وضعوها ليقابلوا بها"Problem".

هذا شيء من تاريخ هذه الكلمة المفيدة.

2- وقرأت في هذه الصحيفة أيضاً قول المحرِّر نفسه:

".... فعلى مَدَى خمسة أيام حلّل دارسو اللغات بمعناها الواسع لغة التواصل الأدبي والسينمائي والمسرحي والإذاعي والتلفزي ولغة الإشهار...".

أقول: لقد جاءت الكلمات في صورتها الأعجمية مع شيء من التغيير في الأصوات حيناً، وفي الأبنية، أو في كليهما حيناً آخر. إنّ التعريب على هذا النحو شيء حسن، وقديماً درج الأوائل على هذا السَّنَن الواضح. غير أني أقول: إن "التلفزة" على هذا الوزن توحي بالمصدر، وليس الآلة أو الأداة أي ما يسمى "الجهاز" في عربيتنا المعاصرة، ولعلّ الذي جنح إلى استعمال "التِّلفاز" كان ألصق باللسان العربي، وذلك لأن "تلفاز" وهو

"تفعال" نظير "التمثال" و"التجفاف" في كلام العرب. هذه مسألة يسيرة مفيدة يكون فيها العود إلى الأصول أكثر فائدة وأجلّ عائدة.

وفي هذه العبارة التي أثبتها من الصحيفة شيء آخر، وهو "لغة الإشهار". أقول: وقد يقف المشارقة أمام هذه الكلمة ولا يتّجه منها لهم شيء في القراءة الأولى حتى إذا أطالوا النظر وعرفوا من سياقها شيئاً، أدركوا أن مادة "الإشهار" هي لغة الإعلام، وهي عندهم تقابل الكلمة الفرنسية"Publicité" وترجمة للكلمة الأجنبية هذه تطابق "الإشهار" أكثر من كلمة "الإعلام".

وهذه من سمات هذه العربية الصحفية في أقاليم البلاد العربية الإفريقية، ومثل هذه السمات اللغوية الخاصة بهذه الأقاليم الشيء الكثير [16].

3- وقرأت في هذه الصحيفة أيضاً:

... وانحصر "تدخل" البروفيسور "كالفان" حول تطبيقات السيميولوجية المتعدّدة..

أقول: والكلام على محاضرات علمية في "السيميولوجيا"، وهي شيء من مواد علوم اللغة في هذا العصر، يراد بها العلم الذي يعني الاتصال بوسائل مختلفة منها الكلمة ومنها الإشارة ومنها الحركة وأشياء أخرى.

وليس من وَكَدي أن أعرض لهذا الذي يشقى به الغربيون مما يتّصل باللغة كالسيميولوجية والبنيوية وغير ذلك، ولكني أود أن أقف القارئ على شيء من الدخيل الجديد في العربية المعاصرة، ولا سيما في أقاليم الشمال الإفريقي، تلك العربية التي ينظر الناطقون بها إلى لسان آخر هو الفرنسيّة يستوحونها ويفيدون منها.

ومن هذا ما جاء في العبارة التي اقتطعتها من "الصحيفة" في خبر " المحاضرة" التي كانت في "السيميولوجيا" وهو قوله:

و "انحصر تدخُّل البروفيسور ...".

أقول: قد يقرأ أهل المشرق -مثلاً- هذا فلا يهتدون إلى "التدخل" وما المراد به، وقد يمر به أحدهم فلا يصل منه إلى شيء. غير أن العارفين باللغة الفرنسية أو ممن اتصلوا بالفرنسيين يدركون أن "التدخل" هو "خطاب" أو "تعليق" أو نحو هذا، يشارك به مُحاضِر في مؤتمر أو ندوة أو ملتقى، وقد يكون "التدخّل" شيئاً غير موجز بل يكون خطاباً أو بحثاً.

وقد تسأل: وكيف أخذ إخواننا المغاربة والجزائريون هذا، والجواب: أنهم ترجموا به الكلمة الفرنسية "intervention " ويفيد التدخّل أو الدخول، فقد يتدخّل الرجل بين جماعة ويشاركهم، ويتدخّل الشيء في شيء آخر.

أقول: إنّ الترجمة دقيقة، ولكنها ولدت غرابة واستغلاقاً، وذلك لأنّ "التدخل" في العربية لم يُؤْلَف استعماله على هذا النحو، وإن كان من الجائز أن يقول الرجل: قد "تدخّلت" في مناقشة الرأي الذي أبداه المحاضر. وعلى ذلك لا يمكن لقارئ الميثاق أن يفهم "التدخل" في الصحيفة على أي وجه إن لم يكن يدرك ما للكلمة الفرنسية من أثر.

وقد ترجموا الكلمة الفرنسية المذكورة - أيضاً- بـ"التدخل" وربما قرأت "المداخلة" فقد تقرأ في أسلوب إخواننا أهل الشمال الإفريقي تنبيه عريف الندوة إلى الحاضرين قائلاً: ينبغي أن تكون "المداخلات" موجزة. [17].

وليس أمر هذا الجديد المولّد الدخيل غريباً في هذه

العربية الإقليمية فهو كثير قد يتجاوز الحصر.

وفي هذه العربية شيء آخر، فإذا كنا في المشرق العربي نلتزم بمصطلح "العمل" لما يقوم به العامل في المصنع والموظّف في الوظيفة وغيرهما، فإن إخواننا في الشمال الإفريقي قد اتخذوا "الشغل" مصطلحاً لهم فيقال عندهم مثلاً: الاتحاد العام للشغل، وأقرأ مثل هذا في "الصحيفة" نفسها.

4- انتصار الكونفدرالية الديمقراطية للشغل.

و"الشغل" هنا هو "العمل" والأمر متصل بـ "العمال"، ولا أريد أن أقف على "الكونفدرالية" التي تعني لوناً من الاتحاد على نظام خاص يعرفه أهل هذا الفن في السياسة والاجتماع، ولكني أقول:

إنّ أهل الحاجة من أصحاب الاختصاصات قد عرَّبوا المصطلح الأجنبي بيسر وخفّة دون ضجة أو جعجعة أو السؤال من المجامع اللغوية، فأخذوا المصطلح الأجنبي وكسعوه بالياء المشددة مع التاء على طريقة المصدر الصناعي كالمادية والمثالية والنوعية والكمية وغيرها، فقالوا الديمقراطية والأرستقراطية والفدرالية والكونفدرالية وغير ذلك. ولم ينتظروا رأي أهل الصنعة من أعضاء مجامع اللغة، وحسناً فعلوا.

أقول هذا لأني أحسّ أن أصحابنا أعضاء المجامع قد يتجاوزون الحدود، فيكثرون المناقشة، ويظلون في خلاف طويل في أمر مصطلحات سلاح الطيران مثلاً، وقد اصطلح عليها أهل الاختصاص من الضباط العاملين في هذا الميدان ليقابلوا بها المصطلح في اللغة الإنكليزية، وهم أعرف بها وبحقائقها، ولكنّنا في المجامع لا نقرّهم على صنيعهم بيسر، فيبدأ مع خبرائهم العسكريين جدل طويل لم يكن إلاّ عبثاً لا طائل وراءه.

وقد يحسن أعضاء المجامع صنعاً لو أنهم اقتصروا على التنبيه على ما في هذا المصطلح من تجاوز على قواعد اللغة في أبنيتها واشتقاقها. إننا نعلم أن هذه المصطلحات موافقة أو قريبة أحياناً مما سُمّي المصطلح "الموحد" في "المعجم الموحَّد" الذي قام به الخبراء العسكريون في الجامعة العربية منذ سنين.

لو أن أصحابنا أدركوا صنيع اليهود في أرضنا المحتلة في المصطلح الجديد، لعلموا أنهم اهتدوا إلى الطريق أمام هذه المئات من الآلاف من المصطلحات العلمية في العلم الجديد. لقد أدخل اليهود المصطلح الجديد من اللغات الغربية ولا سيما الإنكليزية ولم يغيّروا فيه شيئاً، وذلك لأنّهم مدركون أن لغتهم قديمة ناقصة لا تحوي إلاّ القدر القليل من الكلم القديم.

إنّ تلكّؤ المجمعيين العرب في الاتفاق على المصطلح الجديد، دفع بأهل الاختصاصات إلى أن يتخذ كل فريق منهم مصطلحاً له، فكان من ذلك أن وقعوا في خطأ لغوي لم يكونوا على علم به، ذلك أن العربية، على سعتها وسماحتها، لا تقبل فيها ما خالف وجوه القياس في أبنيتها وصِيَغها.

ووجه المخالفة أن الفعل من "استبيان" هو "استبان" وهذا الفعل لا يمكن أن يكون مصدره إلاّ "استبانة" مثل "استقامة" والفعل "استقام".

أقول: لو وُجد في العربية الفعل "استبيَن" مثل "استحسَنَ" لكان "الاستبيان" بناءً صحيحاً، ولكن معجمات العربية لم تثبت هذا. غير أني أميل إلى شيء آخر أذهب فيه إلى وجود هذا الفعل، أو أني أسعى إلى إحداثه بسبب شيوع "الاستبيان"، الذي ما أراني أدفعه بقولي: إنّه بناء لا وجود له في معجمات العربية، ذلك

أن أهل الرأي في العلوم الاجتماعية قد درجوا عليه وشاع في استعمالهم شيوعاً عجيباً، وهم يقابلون به الكلمة الأعجمية "questionnaire" . ولو أنك واجهتهم بالخطأ، وأن هذا المصدر مما لم تشر إليه المعجمات، ما استجابوا إليك ورفضوا البديل له وهو "الاستطلاع" مثلاً.

أقول: إذا كان هذا هو وجه الأمر فهلاّ نبحث في العربية لنجد وجهاً يعين على إحداث الفعل "استبيَن" الذي تحوّل إلى "استبان" . إن إحداثه يندرج في باب الاحتفاظ بالأصل قبل "الإعلال". ويزيدنا في هذا أن العربية أعلّت الكثير من الكلم، واحتفظت بطائفة على أصولها ومن ذلك ما جاء في بنات الياء من الأفعال:

قالوا: " استَغيَلَ "الشجر بمعنى التفّ على الأصل، و لم يقولوا: "استغال" ومثله "أغيَلَ" الشجر، على الأصل و لم يقولوا: أغال.

وقالوا: "استَفيَلَ" الجَمَل و لم يقولوا: استفال.

وقالوا: "أغيَمَت" السماء على الأصل، كما قالوا: أغامت بمعنى غَيَّمَتْ

وقالوا: "أغيَلَت" المرأة بمعنى أرضعت طفلها "الغَيْل" وهو لبنها وهي حامل.

كما قالوا: "أغالَت" و"استَغيَلَت"، وهي "مُغيل" بالمدّ، و"مُغيل" بالياء المكسورة.

هذا شيء من الأفعال من بنات الياء مما كان حقه "الإعلال" فقد ورد مُصَحَّحاً كما ورد على الأصل.

فأما ما جاء من بنات الواو من الأفعال فهو كثير ومنه:

"أجوَدَ" و"أجادَ" الرجل، إذا كان ذا دابّة "جواد أو فرس جواد"، وكذلك "استجادَ". و"استجوَبَ واستجابَ" وكل منهما بمعنى، فقولنا "استجاب" معروف، فأمّا "استجوبَ" فمعناه استفهم وطلب الجواب.

وقالوا: "استصوَبَ" و"استصابَ".

وقالوا: "استحوَذَ" و لم يقولوا: استحاذَ".

وقالوا: "حوِرَ" و"عَوِرَ" و لم يقولوا فيهما: "حار" و"عار".

أقول: إذا كان هذا ما هو معروف في العربية، أليس لنا أن نحدث أصل "استبان" ونعيده إلى الوجود وهو "استبْيَنَ" لنقول بصواب "استِبيان" التي لم نجد وسيلة إلى دفعها وحملها على الخطأ، لشيوعها وإصرار القوم على استعمالها. غير أني أود أن يفهم القارئ أني لا أجوّز الخطأ بحجة الشيوع بل إني أدفع الخطأ وأرفضه، ولا سيما ذلك الذي يهدم أصلاً من أصول العربية.

وقد انتهيت مما وقفت عليه في صحيفة "الاتحاد الاشتراكي" المغربية، غير أني وجدت أن من الخير أن أمضي في هذه اللغة الصحفية التي حفلت بالجديد الغريب كثيراً ولنقف قليلاً على جملة من الكلم المجموع فأقرأ فيها مثلاً:

"... الانتهاكات والخروقات في انتخاب اللجان الثنائية بقطاع الصحة".

ومن المفيد أن أقف على الكلم المجموع في لغة صحف هذه الأيام فقد كثر حتى غدا شيئاً يسترعي النظر.

أقول: إنّ هذه الجموع هي في الأعم الأغلب جموع لمصادر، وليس في جمع المصدر من ضير فقد ورد شيء

منه في العربية، لقد جمع "الخير" على "خيرات" في لغة التـــنـــزيل كما في قوله تعالى: ﴿ وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الخَيْرَاتِ﴾ 73 سورة الأنبياء.

وليس لنا أن نقول: إن كلمة "خير" ليست من المصادر فقد استعملت في العربية استعمالاً كثيراً على المصدرية. وقد سهّل في العربية جمع المصدر، وهو من أسماء المعنى في الأصل، حين تحوّل به المعرّبون إلى اسم من أسماء الذات، فإذا قيل"لقاءات" أو "نزاعات" فكأنهم أرادوا ما يكون في "اللقاء" أو "النـــزاع" من أحداث، وما يتصل بذلك فكان ذلك مسوغاً لجمعهما.

ومثل هذا. "الانتهاكات" التي وردت في عبارة الصحيفة التي أثبتناها.

غير أن ورود هذا الكلم المجموع في صحفنا قد يأتي بسبب من الترجمة. فقد قالوا "النجاحات" وأرادوا بالكلمة جمع الاسم وليس المصدر، أي ما تمّ النجاح فيه من الأعمال والمنجزات.

وهذا – من غير شك– يومئ إلى أن المحرر العربي قد نظر إلى الكلمة الأجنبية وهي "Succès " وهي في الفرنسية –دائماً– مختومة بعلامة الجمع، وكذلك في الإنكليزية ، فلما نقلها إلى العربية جعلها جمعاً.

ولنقف على "خروقات" بمعنى "الانتهاكات" وهي من "خَرْق" وقد جمعت على "خروق" بعد تحولها إلى الاسمية وابتعادها عن المصدرية. غير أن "المحرر" لم يشعر بجمعها هذا فأراد أن يؤكد الجمع فصار إلى "جمع الجمع" فقال "خروقات". إن باب جمع الجمع مقيّد محدود، وليس لنا أن نتسع فيه، فقد قالوا: رجالات، تعني الجماعة القليلة من الرؤساء والوجهاء والأعيان، وليس الكثير بكثير من "الرجال" ومثل هذا "البيوتات" و"البيوت" جمع "بيت" وهو معروف فأما "البيوتات" وهي جمع الجمع فالمراد بها جملة قليلة من "البيوت" أو الأُسر ذات الوجاهة، وقالوا: "بيوتات" قريش كبني هاشم وبني أمية وأسر أخرى.

وقرأت بآخرة في حديث من أحاديث الصحف خصص للعمارة الحديثة فكان فيها ما أنا مثبته: أن "المعمار" الحديث يقوم على "تقنيات" العصر المعقدة...

وإطلاق "المعمار" على "العمارة" جهل بالعربية، وذلك لأن "المعمار" من ألفاظ المبالغة كالمطعان والمطعام ونحو ذلك، وليس فيه شيء من المصدرية أو نحوه. وقد عرف "المعمار" شهرة لطائفة من الرجال ومنهم "ابن المعمار" البغدادي [18].

ولما كان الكلام على مادة "عمر"، وجدت أن المناسبة تدعو إلى الوقوف على "الاستعمار" الذي صار من مصطلح العصر ودلالته علمية فنية تاريخية يطول الحديث عنها.

أقول: إن هذه الدلالة جديدة، وليس من ضير أن نعطي هذه المعاني لكلمة "الاستعمار". وهذا يعني أن من طرائق توليد المصطلح أن تؤخذ الكلمة ذات الدلالة الخاصة القديمة وتعطي دلالة اصطلاحية جديدة.

إنّ كلمة "استعمر" في معناها القديم وثيقة الصلة بكلمة "عَمَرَ" فقد ورد في لغة التـــنـــزيل قوله تعالى ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ واسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ 61 سورة هود. ومن غير شك أنّ إرادة الجديد لكلمة "استعمار" كانت بقصد أن تكون الكلمة ذات دلالة اصطلاحية خاصة.

ولنعد إلى عبارة الصحيفة التي أثبتناها لنقف على "التقنيات" فنقول :

شاء المعنيون بالتعريب الحريصون على العربية أن يكون المصطلح بكلم عربي، وهو عندهم ألصق بالعربية من حيث إنّها لغة عامرة تشتمل على الفوائد الجمة، ومن أجل ذلك كانوا مدفوعين إلى أن يكون المصطلح الجديد كلمة عربية، ولا يصار إلى الكلمة الأجنبية إلاّ اضطراراً.

لقد أرادوا بـــ"التقنيات" " les technologies" وتشبّثوا بمادة عربية وهي "تِقْن" بكسر التاء، وتفيد الرجل العارف الماهر في الصنعة والعمل.

أقول: ولا يمكن أن تكون "التقنيات" تعريباً للكلمة الأجنبية والقاف فيها يقابل الكاف. هذا غير صحيح لأن "التقن" بمعنى الماهر الصَّناع هو من الفعل "تقن" الذي جاء منه "أتقَنَ". وعلى هذا لا يمكن أن يكون هذا المصطلح العربي مؤدياً ما تؤديه "التكنولوجيا". وكأن المعربين لم يهتدوا إلى وجه "التقنيات" وصيغتها وذلك أن منهم من ينطقها بتشديد النون، ومنهم من يخفف النون.

ثم ما لبث أن كان هذا المصطلح العربي من الكلم المهجور، فقلما نبصره في الكتب وغيرها، من مصادر العلم. وعادت "التكنولوجيا" وكأن المعرِّبين رضوا بها فجعلوها معرَّبة على صيغتها و لم يغيّروا فيها شيئاً.

وإذا كانوا قد قبلوا "التكنولوجيا" [19] . و لم يغيروا فيها شيئاً، فقد قبلوا مواد كثيرة نجدها في الصحف وغيرها فما زلنا نرى في "التلفاز" الكثير من ذلك كقولهم في المصطلح السينمائي "سيناريو" ، كما نجد "الأوتوستراد" و"الاستاد" القومي لكرة القدم، ولو أردنا أن نعرض لهذا لطال بنا الكلام.

وشيء آخر في لغة الصحف يتسم بالجِدَّة والطرافة، وهذه الجِدَّة هي توليد دلالة جديدة ومنها:

1-" أننا نقرأ في صحف هذه الأيام: أن السلطة الحاكمة قد "تحفّظت" على رئيس النقابة الفلانية و"التَّحَفُّظ" هنا لا يتصل بمادة "حفظ" ذلك أن المراد بـــ "التحفظ" السجن أو نحو ذلك.

2- ونقرأ في صحف هذه الأيام: ينبغي "ترشيد" الاستهلاك.

أقول: و "الترشيد" مصدر الفعل المضاعف "رشَّد"، ولا بد أن يكون في "الترشيد" شيء من "الرُّشد" وما يتصل بهذه الدلالة. غير أنّ المراد بـــ "ترشيد الاستهلاك" هو " تقليل الاستهلاك".

وكأن معنى "التقليل" في استهلاك الغذاء، قد يثير في النفوس ما يسوء ولذلك يحسن التعمية في هذا الشأن، والإيماء إليه بشيء ضده تقريباً.

3- ونقرأ أيضاً ما يشبه هذا من حيث "الإيماء" إلى المعنى المقصود وهو قولهم: لجأت السلطات إلى "تحريك" الأسعار.

أقول: و"التحريك" مصدر للفعل "حرّك" ولكن هذا "التحريك" لا يعني صراحة معنى الحركة، بل إنه يعني "رفع الأسعار"، ولما كان "رفع" الأسعار مما يمكن أن يثير الجمهور ويزعجه، لجأ أهل الرأي إلى الاستعانة بضرب من التعمية والإيماء فقالوا: "تحريك" الأسعار هرباً مما تؤدي إليه كلمة "رفع".

4- ونقرأ أيضاً:

إنّ جهات عدّة عملت على "احتواء" حركة التمرّد في صفوف فصائل المنظّمة: والمراد بـــ "الاحتواء" هنا السيطرة والغلبة والوصول إلى حل في الأزمة مثلاً.

أقول: وإعطاء "الاحتواء" هذه الدلالة هو شيء جديد عرفناه في لغة الصحف، وأصل "الاحتواء" معروف يقال: احتوى عدة أبواب مثلاً، بمعنى اشتمل على. أقول: إنّ جملة هذه "المجازات" والاستعمالات قد استقريتها من الصحف في بلدان المغرب العربي بأقاليمه الثلاثة (تونس والجزائر والمغرب). وقد يكون مفيداً جداً أن أعرض لشيء آخر مما وقفت عليه في صحف المشرق العربي. ولا أريد أن أخُص بلداً بعينه، فهي في جملتها تميل إلى التوحُّد ، وليس من خصوصية خاصة في هذا البلد أو ذاك.

ولا بدّ من الإشارة إلى أن لغة الصحف في المشرق العربي كما هي في المغرب تتميز في أنها:

1- تزخر بالتعابير الجديدة، والمجازات الجديدة، وكله مأخوذ من اللغات الغربية. وهذا الذي يأتي من هذه المصادر قد يوافق العربية بوجه من الوجوه على سبيل التوسع والاستعارة، وقد يكون مجافياً للعربية، بعيداً عنها، ولكننا ألفناه.

إنّ هذه المولّدات من الألفاظ والتعابير والمجازات والجمل كثيرة، وقد يكون منها كتاب برأسه، أو قل: معجم جديد يشتمل على ما في الصحف وغيرها.

2- إن الذي نجده في الصحف يبتعد أحياناً عن نحو العربية وأبنيتها. وسنعرض لجملة ذلك فنقول [20]:

1- يجب أن تتصرف الدولتان الأعظم إزاء بعضهما على نحو أفضل..

أقول: إن فيما جاء في الصحيفة اليومية في خبر "الدولتان الأعظم" ما لا تسيغه العربية فإن كلمة "الأعظم" هي الصفة المفيدة للتفضيل، وهي محلاّة بأداة التعريف، وفي هذه الحال لا بد من المطابقة بين الصفة والموصوف، فكان ينبغي أن يقال: "الدولتان العظميان" والمطابقة ما كان منها في التذكير والتأنيث. وقد تعرف سبب ارتكاب هذا التجاوز إذا أدركت أن صاحب هذا الأسلوب قد نقل ما قرأه في الصحف الأجنبية الغربية، ولا سيما ما كان منها باللغة الإنكليزية، وفيها أن الصفة في هذا المقام تبقى على حالها.

2- وأقرأ قولهم:

وما زال علينا أن نقف في وجه المؤامرات..

أقول : إن الكاتبَ الصحفي مترجماً كان أم غير مترجم غير ملمّ بالعربية، ولعلّه مثله في تلك اللغات الأعجمية، ثم إنه لا يعرف من العربية إلا الأشتات التي تلقفها في المرحلتين: الإعدادية والتوجيهية، وتلك بضاعة مزجاة.

إنه في هذه العبارة يستعمل "ما زال" ولا يأتي لها بخبر تنم به الفائدة. ولا أعرض لكلمة "المؤامرات" وهي جديدة، بمعنى الأحاييـــل التي يحوكها رجال السياسة وغيرهم في سلوكهم لتحقيق ما يبتغون.

أقول: إن في العربية ما يعين على استحداث هذا الجديد، ذلك أن في مادة " أمر"[21] شيء يصار به إلى هذا.

3- وجاء في صحيفة من صحفنا الأردنية قول أحدهم:

"... وأنبّه على قلمي أن يترك الزمن الرديء ...".

أقول: هذا أسلوب لا نجده إلا لدى المتساهلين بالعربية من كُتّاب العهد الجديد .

وقد أقول: أن ليس في العربية من ضمير في هذا، ولكن لو كان هذا الكاتب قد وصل إلى هذا الجديد

بيقظة وإدراك ومعرفة بالأصول والفروع.

إن استعمال"على" مع "التنبيه" يشير إلى الهفوات والغلطات، ومن هنا ورد في أسماء كتبهم:

1- التنبيه على حدوث التصحيف لأبي أحمد العسكري.

2- التنبيه على أغاليط الرواة لحمزة الأصفهاني

ولو عدلنا عن استعمال "على" مع "التنبيه" إلى حرف الجر "إلى" لكان ذلك دالاً على غير الخطأ والغلط، كأن يقال: التنبيه إلى عمل البر والإحسان، مثلاً. إن استعمال "على" في كثير من مجالات القول مؤذن بالشرّ والأذى والاستيلاء [22].

4- ونقرأ أيضاً قولهم كثيراً:

".. وأكّد الرئيس فلان على عروبة لبنان ..."

أقول : استعمال "أكّد" على هذا النحو، وهي تصل إلى مدخولها باستعمال "على" ليس من العربية، والفعل متعد في العربية، وكان ينبغي أن يقال: "أكّد الرئيس فلان عروبة لبنان...".

وهذا التجاوز على المألوف من العربية كان بسبب أن الكلام كثير في اللغات الغربية ولا سيما الإنكليزية والفرنسية، والفعل في هاتين اللغتين يصل إلى مدخوله بالحرف "على".

5- ونقرأ أيضاً قول أحدهم:

"إن ما يدور على البوّابة الشرقية من معارك..."

أقول: "و"البوابة" من الخطأ الذي استحدثناه، وليس فينا حاجة إلى توليد "البوّابة" التي هي في الأصل مؤنث "بوّاب" وهو "الآذن" القديم الذي يلزم باب الأمير أو الوزير أو غيرهما، فالبوّاب صاحب الباب كالجزّار والنجّار، والحدّاد، وحرفته "البوابة" كالنجارة والحدادة.

وابن البواب من أشهر الخطاطين البغداديين في عصر الدولة العباسية. ولسنا ننكر توليد الكلم الجديد، ذلك أن الحياة المعاصرة تفرض علينا إحداث آلاف المصطلحات في كل باب من أبواب المعرفة الجديدة.

6- ونقرأ أيضاً قولهم:

"اتحدت الحكومات الغربية في عملياتها ضد الإرهاب..."

أقول: و"الضدّ" في العربية هو المثل، والمخالف ضدّ، وكلمات "الأضداد" شيء آخر، وهو أن الكلمة تعني شيئاً وضده معاً كقولهم: الجون للأسود والأبيض. ومثل هذا كثير. وهي هنا نعت. ولا تكون غير نعت، وقد تأتي للجمع، قال تعالى:

﴿ وَيَكُونُون عَلَيْهِمْ ضِدّاً﴾ 82 سورة مريم.

أما نحن اليوم فانحرفنا بالكلمة إلى استعمال جديد يبعدها عن النعت فتكون مصدراً كما في الجملة المثبتة.

7- ونقرأ في الصحف ونسمع في الإذاعات قولهم:

"... وأتت الحرائق على كل شيء: البيوت، الأسواق، المحلاّت العامة والحقول".

أقول : إنّ استعمال "الواو" للعطف في آخر هذه الكلمات شيء لا تعرفه العربية، والصواب إثبات الواو بين المعطوفات واحداً بعد آخر. وليس هذا الجديد إلاّ بسبب ما ألفوه في اللغات الغربية.

8- ونقرأ أيضاً:

".... وتمرير المسألة....."

و"التمرير" مصدر الفعل "مرّر" الذي ولّده

المعاصرون ليقابلوا نظيره في اللغات الغربية، وليس في العربية شيء من هذا وليس فينا حاجة إليه، وفي العربية الكثير مما يؤدي معنى "التمرير" كالتعدية وغيرها.

9- ونقرأ قولهم:

"... وحدث هذا في إطار التوجه الجديد للمؤسّسة من خلال ما بدا من الحلول...".

أقول: "الإطار" في حيز هذه الجملة من الاستعارة الجديدة من اللغات الغربية ولا ينصرف الإطار في العربية إلى غير معناه الحقيقي.

ثم إن استعمال "من خلال" التي شاعت شيوعاً عجيباً من الاستعارة الجديدة أيضاً، وليس فيها شيء من معنى الظرفية الذي كان لها في العربية. وكأنها في الاستعمال الجديد تفيد ما تفيده لام الجر التي هي للتعليل والسبب، فكان ينبغي أن يقال:

"وحدث هذا في إطار التوجه للمؤسّسة لما بدا من الحلول".

وقد جدّ في العربية المعاصرة مما نلحظه في الصحف الكثيرة مما يلتزم في مادة "التربية الرياضية" فأنت تقرأ مجازات جديدة مما تساهل فيها أصحابها، وليس لنا أن نحملها على الخطأ، ومن ذلك:

أ- الكلية الجامعية تقيم صاعقة كرة القدم.

ب- فريقا الأردن والسعودية يقصّان "شريط" البطولة.

جـ- البطولة"الكروية" لأمانة العاصمة، والفريق الكروي فيها.

د- التقى الفريق السعودي نظيره "الإماراتي".

ومن المعلوم أنّ "الإماراتي" اختصار لفريق دولة الإمارات العربية المتحدة لكرة القدم!!

وقد نختم هذا الموجز بإيراد هذه الغرائب التي نجدها، وهي إمّا مولّد جديد وإمّا وجه من وجوه القول لم نألفه ومن ذلك:

التعثّر ، التشنّج ، ساعة الصفر، المناخ الأدبي، الصناعة الدجاجية، الهدوء الحذر، التشرذم، التقوقع، التحجّر، الاستقطاب، التمحور، التصعيد، وكثير غيره.

خاتمة:

ما كان لي أن أذهب في استقرائي هذا إلى الاستيفاء، ولكني آثرت هذه الأشتات مما هو مني على طرف الثمام كما قيل. ولكني قصدت أيضاً من إثبات هذه النماذج إلى أن أقول: إن الحاجة إلى وضع معجم جديد للعربية المعاصرة وحدها شيء تفرضه الضرورة القائمة، ثم إن عملاً كهذا ما ينبغي أن يكون لننتهي في تاريخ العربية إلى استجلاء معالمها طوال العصور.

المراجع

1. أقول: هذا الذي أبسطه في بحثي هذا أرمي إلى أن يكون مقدمة في "معجم للإعلام" أو شك أن أنتهي منه لولا أني قد أتوقف في مواد ليست قليلة أفتقر فيها إلى علم المختصين الجديد في هذه الممارسة اللغوية.
2. انظر: إعجاز التواصل الحضاري الإعلامي للدكتور حسن صعب، دار العلم للملايين، بيروت 1984-ص120-121.
3. أقول: هذا هو أوّل نمط صحفيّ في تاريخ هذا الفن الوافد.
4. الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث لأنيس المقدسي،

الطبعة السابعة، دار العلم للملايين، بيروت 1982، ص449.

5. المصدر السابق، ص449.

6. مطالعات في الإعلام للدكتور محمد حمد خضر، بيروت 1987، ص 154.

7. كانت كلمة "جريدة" من الكلمات الشائعة في أواخر القرن التاسع عشر، وقد استمرت هذه الكلمة مستعملة في أوائل هذا القرن، وهي تؤدي ما تؤديه كلمة "صحيفة" وما زال شيء منها حتى اليوم.

8. مطالعات في الإعلام، ص 140، وقد علق الدكتور محمد حمد خضر على هذا فقال: "فتصوروا لو كان على الصحافي المعاصر أن يستخدم هذه اللغة وأن يعتمد على هذا الإيقاع التعبيري لتغطية اختطاف طائرة، أو نقل أنباء غارة حربية..."

9. لغة الجرائد للشيخ إبراهيم اليازجي، مطبعة المعارف، القاهرة 1319هـ.

10. لا بد لي أن أستدرك فأقول إن العربية الحديثة عند قيام الحكم الوطني (وكان هذا استعماراً أو انتداباً) قد اعتمدت على الوافد إليها من طرائق التعبير الفرنسي، وذلك لقيام التراجمة من أهل لبنان وسورية بهذه المهمة.

11. الألفاظ الخاصة بهذه الصحافة المحلية كثيرة، وأريد بهذا ما أخذ من العربية وليس من فرنسية فاكتسب خصوصية ومنه: الحكومة معرَّضة للانفراط ، ونعني أنّ عقد الحكومة انفرط فتفرَّق باستقالة وزير أو أكثر.

ومنه : المرشَّحون للوظيف الحكومي قدَّموا استدعاءاتهم. أقول: و الوظيف اسم جمع ويريدون به الوظائف. والاستدعاءات تعني الطلبات، وهي شيء من العربية التي استعملها الأتراك العثمانيون وما زال شيء منها في هذه العربية الخاصة.

ومنه أن "الإشهار" هو "الإعلان" واللوحة الإشهارية هي اللوحة الإعلانية. أقول ليس في هذا الالتزام جنوح عن العربية، ولكن "الإعلان" اكتسب قوة المصطلح الفني وفي هذا لا تفي كلمة "إشهار" بالمراد من "الإعلان".

12. أريد بالكلم المعدول عن جهته ما جمع على بناء لم يرد مثيل له في العربية، وفي هذا جمع المغاربة لـ "زبون" على زُبَنَاء. وما كان على "فعول" يجمع على "فُعْل" وهو مثل فعيل صفة كان أو اسماً. وأما جمع أهل المشرق على "زبائن" فخطأ آخر، و"زبائن" جمع "زبونة" ولم نجد "زبونة" في عربيتنا. والزبون من الكلم المستعار في العربية القديمة.

13. 10 سورة التكوير.

14. سورة الأعلى.

15. الديوان

16. قلت: "النوادر" وأريد بها ما أراد القدماء بالنوادر التي كانت ألفاظاً غريبة.

17. صحيفة يومية مغربية.

18. لقد عرض إلى طائفة من هذه المولدات المستشرق الفرنسي شارل بلاّ في كتابه "العربية الحيّة".

19. ولو أردنا أن نستقري هذا الدخيل الذي حفلت به هذه الإقليمية لكان لنا من ذلك الكثير، ولكن أرى أن "أُذكِّر" بشيء ألفه المشارقة في هذه العربية، وربما استعاروه من إخواننا في الشمال الإفريقي وهو لفظ "الأطر" أو "الإطارات" جمعاً.

20. وهو أبو محمد عبد الله بن إسماعيل الأسدي البغدادي، جلال الدين ابن المعمار، كاتب أديب، لُقِّب بالفيلسوف، له شعر، من أهل بغداد، توفي بالمحلة سنة 742هـ. انظر الأعلام للزركلي 198/4.

21. أليس دليلاً على أنها عرّبت دخول الألف واللام عليها "التكنولوجيا" نظير الديمقراطية والأرستقراطية. وغيرهما.

22. هذه نماذج قليلة من كثير غيرها لم أدخله في هذا الموجز، ومن أجل ذلك أعفيت نفسي من التزام ترتيبها معجمياً على نمط من الأنماط، بل سأعرضها كما وقعت لي وأنا أقرأ الصحف في هذه الأيام.

23. ومن ذلك ما ورد في الآية الكريمة ﴿ قَالَ يا مُوسى إنَّ الملأ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾، 20 سورة "القصص" وجاءت "المؤامرة" في النصوص العباسية بمعنى ما يقدمه الرجل إلى الأمير والحاكم من طلب يلتمس فيه قضاء حق له، وهي "العريضة" في العربية المعاصرة.

24. ذكر هذا الأستاذ مصطفى جواد- رحمه الله- في كتابه "المباحث اللغوية في العراق ص 43-44، وأشار إلى جملة كبيرة من الأفعال التي تتعدّى بـ "على" في إفادة الشرّ يلحق بالمدخول ، قال تعالى: "وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجّيل". ثم استشهد بما عاب النقاد على أبي تمام في مطلع قصيدته:....